

الأسلوبية والتأويل

أ.مولاي حورية

قسم اللغة العربية و آدابها

جامعة جيلالي لباس - سيدي بلعباس

ملخص:

إن تحليل الخطاب الأدبي من منظور الأسلوبية لا يقف عند حدود البنية السطحية للنص الأدبي فحسب و إنما تتعمق فيه عبر عمليات التفسير، والشرح، وتفكيك الوظائف الجمالية للأسلوب، متجاوزة بذلك الشكل اللغوي الخارجي، لتلج إلى عمق النص الأدبي من حيث الكتابة الإبداعية، بغية إبراز القيم الفنية الجمالية الكامنة فيه.

لذا تُقر الأسلوبية بفعل القارئ ودوره المنوط في تشريح بنية النص، كون أن هذا الأخير يثير قريحة المتلقي، فتشكل لديه موضوعا أسلوبيا قابل للتحليل والتفسير والتأويل من أجل إدراك دلالات متنوعة، وتحقيق التواصل الأدبي، ولأن بعض التراكيب اللغوية هي بحاجة إلى التنوير والتوضيح.

ومن له القدرة على تمييز النص والولوج إليه عبر اختراق أغواره وتحديد معاناه الأدبية الجمالية تفسيرا وتأويلا هو القارئ المؤول، وعليه هل من علاقة بين الأسلوبية و التأويل؟ وهل النص من منظور

الأسلوبية رسالة مغلقة موجهة إلى المتلقي لفك رموزها وشفراتها؟

❖ الكلمات المفتاحية: الخطاب، الأسلوبية، النص، القارئ،
التأويل، المتلقي، الأسلوب.....

1- التأويل والأسلوبية: تحديد المفاهيم والوظائف:

إن القراءة بالمفهوم النقدي العربي المعاصر هي « منهج من شأنه أن يجعل الخطوة الأولى من أدواته الإجرائية الولوج إلى النص، فيعمل على تفكيكه إلى وحداته الصغرى والكبرى، قصد الوصول إلى المعلومة الكلية، أو أنه يعتمد إلى التركيز على المؤلف الذي أنجز لنا هذا النص، وما إلى ذلك من الإجراءات التي يستخدمها المنهج العربي المعاصر في الوصول إلى مفاتيح النص»¹ ولعلّ أوضح طريق توصل إليه النقد في قراءة النص الأدبي هو التفكيك الذي يعتمد على التشريح والتفسير، وإن اختلفت القراءات من التاريخية أو النفسية أو البنيوية أو الأسلوبية في حد ذاتها، فكل قراءة من هذه القراءات إلا وتحتاج إلى تأويل يحتفظ « بخاصية امتلاك فهم متجدد للنص من طرف الذات المؤولة، ذلك أن التأويل يعني تجاوز التفسير التقليدي إلى تبيين المعاني المتعددة التي يحملها النص، وذلك عن طريق تقصيّ البنيات التحتية الكامنة في النص»² ولا يمكن لأي أحد أن يفعل هذا إلا من امتلك ناصية الفهم العميق والعقل الراجح.

فالتأويل هو تأويل للمعنى، وطريقة من طرق قراءة النص من خلال توظيف معظم المستويات، وإذا تحدثنا عن الأسلوب- سنخص بالذكر هنا- على المستويات اللسانية، والتركيبة، والصيغ

¹ - بوجمعة بويحيو: آليات التأويل وتعددية القراءة، مقارنة نظرية نقدية، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق ط1/2009، ص87.

² - محمد عزام اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب... إلى المكتوب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2008، ص22.

الصرفية والحقول الدلالية. وعليه فالقارئ أو المؤول «في مجال الدائرة التأويلية ملزم بالوقوف عند وحدات النص الصغرى والكبرى باعتبارها المكونة للكل»¹ وثلقي مزيدا من الضوء على معنى النص ويغنيه.

إنّ البحث في الخصائص التعبيرية والشعرية في البحث الأسلوبي ما هو إلاّ «البحث الألسني» الذي يتأرجح بين الدال والمدلول والقراءة. ومن ثمّ اتضحت الأسلوبية على أنّها «علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي، أو الأدبي خصائصه تعبيرية والشعرية، فتميزه عن غيره أي أنّها تقرأ الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية، وتعتبر الأسلوب ظاهرة، هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاته»² فالأسلوبية تسعى إلى أن تكون علمية تقريرية، تصف الوقائع وتصنفها بشكل موضوعي، فهي المنهج الذي يهدف إلى تحليل الخطاب الأدبي، والكشف عن أبعاده الجمالية والفنية لتبرز مدى درجة التأثير والتأثير لدى المتلقي.

استشرفت الأسلوبية على يد مجموعة من النقاد على رأسهم «فرديناند دي سوسير» إذ تقاطعت أسلوبيته مع الألسنية، ثم تواصل المد مع تلميذه «شال بالي» وأضحى عنده ما يسمى بالأسلوبية الوصفية stylistique de descriptive أو أسلوبية التعبير stylistique de l'expression التي تدرس الصيغ التعبيرية في لغة الأثر

¹ - المرجع السابق، ص 91 .

² - حسن حميد: اللغة والأسلوب، مراجعة وتقديم عدنان بن ذريل، ط2/2006، ص 131.

النص، استنادا إلى مضمونها المؤثر، أي أنها تدرسها بالنظرة إلى الإعراب عن الإحساس بوساطة اللغة، وبالنظر إلى تأثير اللغة بالإحساس¹ بمعنى دراسة أحداث التعبير اللغوي المنظم لمحتواه العاطفي.

ثم امتدت الأسلوبية إلى مجالات لغوية ونقدية على يد كل من «تودوروف» «من خلال أعمال الشكلايين الروس و»رومان ياكبسون» من جراء حديثة عن الوظائف الست للغة².

1. الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية وتوجد في الرسالة التي ترتبط بموقف المرسل وتعبّر عن مشاعره وتكشف عن حاله.

2. الوظيفة الندائية: وتوجد في الرسالة التي يتوجه بها المرسل إلى المرسل إليه لإثارة انتباهه أو ليطلب منه القيام بعمل من الأعمال. (الوظيفة التأثيرية أو الإقناعية، استعمال أدوات لغوية كالنداء، الأمر، الضمير...).

3. وظيفة إقامة الاتصال: ويعبّر عن محاولة المرسل الإبقاء على الاتصال بينه وبين المرسل إليه.

4. وظيفة ما وراء اللغة: وتظهر في الرسالة التي تكون فيها اللغة نفسها مادة الدراسة والمرجع الذي تدلّ عليه.

¹ - هني ساندروس: نظرية أسلوبية لسانية، تعليق خالد محمد جمعة، توزيع دار الفكر، ط1/2003، ص33.

² - ينظر جورج مولينييه : الأسلوبية تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2/2006، ص 15/16.

5. الوظيفة المرجعية: تحدد العلاقات بين المرسلات وما ترجع إليه من أشياء موجودة أو متخيلة. (تتعلق بمرجع المعلومات المنقولة التي تنقلها اللغة من العالم الخارجي).

6. الوظيفة الشعرية: هي وظيفة غائية تتجلى في إدراك الكلمة من حيث هي كلمة، لا من حيث هي مجرد بديل عن شيء مسمى أو تفجير عاطفة. (تتعلق بجمالية اللغة أو المتعة الجمالية التي يخلفها النص في نفس المتلقي).

ولعل أهم شيء في هذه الوظائف، والتي لها علاقة بالتلقي والتأويل هي الوظيفة الفهمية المتعلقة بالمتلقي. والأسلوبية في ظل هذا هي نوع من الحوار الدائم بين القارئ والكاتب من خلال نص معين، ويتم هذا الحوار على مستويات أربع: النص والجملة واللفظ والصوت¹. فضلا عن العنصر الجمالي الأدبي الذي بدوره يكشف عن مدى تأثير النص على القارئ عبر التقويم والتفسير والتحليل.

2- الأسلوبية الأدبية:

هي الأكثر ارتباطا بتحليل النص الأدبي، وهي منهج يقوم على اللغة ودراسة الأسلوبية من جوانبها ومكوناتها المختلفة من أجل الوصول إلى وظائفها ومدلولاتها والتي تقودها إلى التأويل المحتمل للنص، فهي بذلك منهج أساسه النص ولغة، فأسلوب النص يتعلق منه وتكون أدواته من هذا

¹ - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة، الجزائر د.ط/ د.ت: ج1/ ص 37.

النص، فلا دخل للكاتب ومقاصده في القراءة الأسلوبية للنص»¹ وعليه فهي منهج لساني يقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية لاستخلاص أهم العناصر المكونة لأدبية الأدب إذ تجعل منطلقها الأساس النص الأدبي، فهي تنطلق من النص وإلى النص دراسة حدود التأثير والتأثير، وحدود التلقي.

3-أسلوبية التلقي والتأويل الأسلوبية:

تقوم على تعيين الظاهرة اللغوية، ومادامت اللغة تقوم بوظيفة تعبيرية، فإن الأسلوب هو الذي يلور المعاني ويبرزها، ومن يقوم بهذا الدور هو المتلقي الذي يتلقى العمل الأدبي، فإن استرجاع القارئ للأسلوب يتحدد من خلال توقعه، ومن وراء الخبرات والمعارف السابقة واللاحقة التي يكتسبها من تصورات ومقاييس جمالية.

هناك دعوة صريحة لإشراك المتلقي في تقويم العمل الأدبي من خلال تحليل وتفسير العناصر الأدبية التأثيرية من طرفه.

إن محاولة إشراك القارئ في نقد النصوص الأدبية هو غاية أسلوبية التلقي لأنها تضمن عدة قراءات للنص الواحد تتباين من قارئ إلى آخر، يمكن من خلالها النظر إلى النص من عدة زوايا مختلفة لغوية، شعرية، بلاغية، فنية ... وغيرها من الزوايا.

¹ - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب دراسات نقدية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1/1999، ص 66.

فكل قارئ يستطيع تحديد الأسلوب الأدبي الذي يحويه النص الأدبي، والأثر الذي يحدثه، وهذا ما أصطلح عليه بالتأويل الأسلوبي الذي عدّ آخر مرحلة من مراحل القراءة الأسلوبية، مشكلا الغاية الكبرى من وراء قراءة أي نص أسلوبياً «فالتأويل الأسلوبي مستمد من لغة النص وعالمه، حيث يؤول النص باعتباره عالما صغيرا، فهو تأويل مركّز على لغة النص وخصائصها الأسلوبية ووظائفها ومدلولاتها ويكون حسب ما يقتضيه السياق اللغوي الجزئي أو الكلي»¹ فالخصائص الأسلوبية تتعامل فيما بينها لتحث القراءة الأسلوبية الصحيحة، والتي تبرز في مدى استجابة القارئ لها وتجربته الآتية في القراءة، مما تحصل الفائدة المتعلقة بتحقيق الوظيفة التبليغية والبلاغية الخاصة.

لم تعد الأسلوبية تقتصر على البنيات المشكلة لها بل أيضا على توظيف عناصر أخرى، عدت في عداد المسكوت عنه، والمقصود هنا هو القارئ الذي هو معيار أساسي في تحديد السمات الأسلوبية. لكن أي قارئ يقصد به في الدراسات الأسلوبية ؟

4- القارئ النموذجي (architecteur):

أقرت الأسلوبية بدور القارئ في دراسة العمل الأدبي و ذلك بفك شفراته وإدراك الدلالات المختلفة مبرزة ذلك الفعل

¹ - بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت 1405 هـ / 1985، ص 143.

التواصل، فكلما كان للنص قراءات متعددة، كلما كان أكثر ثراءً وتجدداً.

يعد «ميشال ريفاتير» (MICHAEL REFFATERRE) من أبرز الباحثين الذي تحدثوا في الدراسات الأسلوبية الحديثة عن علاقة النص بالقارئ وتواصلهما، إذ يصادف القارئ « أثناء عملية تفكيك النص غموض بعض المتواليات التركيبية، لأنها تكتسب معاني متعددة، مما يفرض عليه ممارسة قراءات متعددة»¹ لتحديد قيمة النص وتولييه أهمية كبرى.

وبهذا الإسهام يكون «ريفاتير» قد وجه الدراسة الأسلوبية في اتجاه المتلقي، معتمداً على نوع واحد وهو القارئ «النموذجي» أو «الجامع» أو «العمدة» فهي كلها ترجمة لكلمة واحدة architecteur والذي هو «مجموع القراءات وليس معدل القراءات (la moyenne) إنه أداة لإظهار منبهات نص ما لا أقل ولا أكثر»².

فالبحث الموضوعي يقتضي الانطلاق من الأحكام التي يُبديها القارئ حوله، وليس فقط من النص المباشر، كون أن الظاهرة الأدبية ليست هي النص فحسب، بل والقارئ أيضاً، فضلاً عن مجموع ردود فعله إزاء النص. فالهدف من وراء هذا القارئ في نظر

¹ - المصطفى عمراني: مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي، روايات غسان كنفاني نموذجاً، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1/2001، ص 51.

² - ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، منشورات دراسات سال، دار النجاح الجديدة، المغرب، ط1/1993، ص 41-42.

« ريفاتير إبراز البنيات الأسلوبية للنص الأدبي و- رصد أكبر قدر ممكن من تلقيات القراء- ، التأكد من الفعالية المستمرة لهذه البنيات، و تحديد المواضع أو المواقع التي تكتسب قيمة الأسلوبية »¹ فهو محصلة ردود أفعال عدد من القراء و الخبراء اللغويين اتجاه النص، أو بمعنى هو مجموعة الاستجابات للنص التي يحصل عليها كل قارئ من عدد القراء.

ولترسيخ هذا النوع من القراء، وإثرائه بشكل كبير استعمل « ريفاتير » حيلة مقصودة لجلب انتباه القارئ وهو « الانحراف » أو « الانزياح » و المقصود به انحراف عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خرق للقواعد حيناً، و حيناً آخر هو اللجوء إلى ماندر من الصيغ.

أو هو الخروج عن المألوف المعتاد في الكلام العادي، و الاتجاه نحو صيغة كلامية تبعث الإيجاء و تحث على التأويل. و ما دامت الصيغة على هذا النحو، فيمكن أن يشوبها الغموض، و لعل إضعاف بنية النص، ولكي يخرج النص من هذه الحالة لابد من وجود قارئ كفء واسع الإطلاع، يستطيع كشف هذا الانزياح الجمالي، والقادر على هذا هو القارئ النموذجي.

يشترك ريفاتير في فكرته المتمثلة في « العلاقة بين النص والقارئ » و ردود الأفعال مع « هانز روبرت ياوس » من خلال ما يسمى « بجمالية التلقي »* حيث يقر هذا الأخير بأهمية القارئ ودوره الفعال

¹ - المصطفى عمراني: مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي (م س)، ص 52

*- Voir H.R Jass : pour une esthétique de la réception, traduit de l'allemand par claud maissard preface de jean strabonski ; edition gallimard, paris, 1978. P263

في إنتاج النص الأدبي من خلال مجموعة من التوقعات و انتظارات خاصة به .

خلاصة:

هكذا، أتيح للأسلوبية أن تؤسس كيائها، و تنجز أدواتها الإجرائية، و تحدد بذلك مناهجها في التعامل مع الظواهر الأدبية، وتتخذ أسلوبا جديدا تحريرا في تحليلاتها الأسلوبية للخطاب الأدبي متأثرة بالمعارف الإنسانية المختلفة خاصة فيما يتعلق بالمتلقي وجمالية قراءته، وآفاقه المتنوعة والمتعددة القابلة للتفكيك وتشرح وتحليل النص أو الخطاب الأدبي.